Sentimental direction in promiscuity poetry at the first Abbassi age

Dr. Hekmat Issa[**]
Dr. Talal Hassan[***]
Mohsen Haydar[*]

(Received 28 / 6 / 2022. Accepted 5 / 9 / 2022)

□ ABSTRACT □

The sentimental trend in the general sense represents the attitude of poets - artistic - to life, nature and society, and what distinguishes sentimental poetry from other poetry trends is the emergence of the poet's self and emotions, his emotions, the manifestation of the ripples of this self, and the special attitudes of life, nature, religion society, universe and poetry He came up with a distinctive poetry template, and with influential art.

The poetry promiscuity of the first Abbasy age are the poetry of envelope, obscene and rebellion in which he seeks and through which to prove himself and expressing his feelings, tendencies, wishes, thoughts, attitudes to life, society, religion and the universe intellectual, religious, social and artistic rebellion, bearing the dimensions of civilization, culture and history of that time. The phenomenon of promiscuity is a problematic issue for researchers and scholars of Arab literature because it carries with it revolution, rebellion, rejection, disregard, extremism and self-proof, Departing from the Decade of Religion, Power and Society, but it has rich and serious beverages that distinguish it from most of the poetry of that age that glorified the group/tribe, He is sacred to his feet and lives in an ambience between their times and its attributes, as evidenced by the appearance of the poet's personality through his artistic expression of his emotions, emotions and pursuit of autonomy.

Keywords: Sentimental direction, promiscuity, the first Abbasy age

[**] Professore, Department of Arabic, Factualy of Arts and Humanities, University Tishreen, Lattakia,Syria.
[***] Assistant Professor in the Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Human Sciences, Tishreen University.
[*] Ph.D.student in Arabic, University Tishreen.

النزعة الوجدانيّة في شعر المُجون في العصر العبّاسيّ الأوّل

د. حكمت عيسى**
د. طلال حسن***
محسن محمّد حيدر*

(تاريخ الإيداع 28 / 6 / 2022. قبل للنشر في 5 / 9 / 2022)

□ ملخّص □

إنّ الاتّجاه الوجدانيّ بمعناه العامّ يمثّل موقف الشعراء– الفنّي– من الحياة والطبيعة و المجتمع، و إنّ ما يميز الشّعر الوجدانيّ من غيره من الاتّجاهات الشعريّة الأخرى هو بروز ذات الشاعر وعواطفه، وانفعالاته، وإظهار تموّجات هذه الذات، وما ينتابها من مواقفَ خاصّةٍ من الحياة والطبيعة والدين المجتمع والكون والشعر والسلطة... ، فتخرج بقالب شعريّ مميّز، وبأساليبَ فنيةٍ مؤثّرة .

وشعر المُجون في العصر العبّاسي الأوّل هو شعر التظرّف والخلاعة والتمرّد الذي يسعى الشاعر فيه، ومن خلاله إلى إثبات ذاته، والتعبير عن مشاعره و ميوله ورغباته وأفكاره، ومواقفه من الحياة والمجتمع والدين والكون، وهو شعر التمرّد الفكريّ والدينيّ والاجتماعيّ والفنّي، وهو الشعر الحامل لأبعاد الحضارة والثقافة والتاريخ في ذلك العصر، وظاهرة المجون قضيّة إشكاليّة عند الباحثين والدارسين للأدب العربي كونها تحمل في طيّاتها الثورة والتمرّد والرفض والاستخفاف والتظرّف وإثبات الذات، والخروج عن عقد الدين والسلطة والمجتمع، إلا أنّ فيها نفحاتٍ وجدانيّةً ثرّةً تميّزها عن معظم أشعار ذلك العصر الذي كان يمجّد الجماعة/القبيلة، ويقدّس القديم لقدمه ويعيش في جوٍّ مباين لعصرهم وسماته، ويتجلّى ذلك من خلال بروز ملامح شخصيّة الشاعر فيه عبر تعبيره الفنّي عن عواطفه وانفعالاته وسعيه للاستقلال الذاتي.

الكلمات المفتاحية : الوجدانيّة ، المُجون ، العصر العبّاسيّ الأوّل

** أستاذ ، قسم اللغة العربيّة، اختصاص الأدب العبّاسي ، جامعة تشرين، اللاذقيّة، سورية .
*** مدرّس ، قسم اللّغة العربيّة ، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ، جامعة تشرين، اللاذقيّة، سورية .
* طالب دكتوراه لغة عربيّة ، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ، جامعة تشرين ، اللاذقيّة، سورية.

مقدّمة:

يتناول البحث النّزعة الوجدانيّة في شعر المُجون في العصر العبّاسيّ الأوّل، والشعر الوجدانيّ هو الشعر الذي تبرز فيه ذات الشاعر سواءٌ أكان يعبّر عن إحساساته ومشاعره الخاصّة أم كان يصوّر مشاعر الآخرين، ويلوّنها بخواطره وأفكاره، وأن يكون للشاعر كيانٌ مستقلّ، ونظرة متميّزة للحياة والناس، ولعلّ ما ميّز هذا الشعر من غيره أنّه يُعنى بالتعبير الخالص عن المشاعر الإنسانيّة في مجالاتها المختلفة، فتطغى فيه العاطفة والانفعال النفسيّ للشاعر.

وإنّ الاتّجاه الوجدانيّ بمعناه العامّ يمثّل موقف الشعراء– الفنّي– من الحياة والطبيعة و المجتمع، و إنّ أكثر ما يميّز هذا الشّعر من غيره من الاتّجاهات الشعريّة الأخرى هو بروز ذات الشاعر، وانفعالاته، وإظهار تموّجات هذه الذات، وما ينتابها من مواقفَ خاصّةٍ من هذا الكون وما فيه، فتعبّر عن مواقفها من الحياة والطبيعة و والدين المجتمع والكون والشعر والسلطة... ، فتخرج بقوالب شعريّةٍ مميّزة، و بأساليبَ فنيةٍ مؤثّرة .

وشعر المُجون عند شعراء العصر العبّاسي الأوّل هو شعر التمرّد والتظرّف والخلاعة الذي يسعى فيه الشاعر، ومن خلاله إلى إثبات ذاته، والتعبير عن مشاعره و ميوله ورغباته وأفكاره، ومواقفه من الحياة والمجتمع والسلطة والدين والكون، وهو شعر التمرّد الفكريّ والدينيّ والاجتماعي والفنّي، وهو الشعر الحامل لأبعاد الحضارة والثقافة والتاريخ في ذلك العصر– لِما كان يتمتع به شعراؤه من ثقافةٍ عميقة من جهة ورغبةٍ بالتجديد ومواكبة الحضارة والمدنيّة من جهةٍ ثانية– و يمكن القول: إنّ ظاهرة المجون قضيّة إشكاليّة عند الباحثين والدارسين للأدب العربي كونها تحمل في طيّاتها الثورة والتمرّد والرفض والاستخفاف والتظرّف وإثبات الذات، والخروج عن عقد الدين والسلطة والمجتمع، إلا أنّ فيها نفحاتٍ وجدانيّةً ثرّةً تميّزها عن معظم أشعار ذلك العصر الذي كان يمجّد الجماعة/القبيلة، ويقدّس القديم لقدمه ويعيش في جوٍّ مباين لعصرهم وسماته، ويتجلّى ذلك من خلال بروز ملامح شخصيّة الشاعر فيه عبر تعبيره الفنّي عن عواطفه وانفعالاته وسعيه للتفرّد والاستقلال الذاتي.

والنزعة الوجدانيّة عند شعراء المجون في القرن الثاني تمثّل ترجمةً لذواتهم وانعكاساً لها إزاء ما يحدث حولها، وانعكاساً لمدى استجابة الشعراء لمظاهر الجمال المختلفة ، فيحمل رؤيتهم وتصوّراتهم لشتّى الموضوعات التي يعالجونها، ومن هذا المنطلق فقد وجد البحث مجالاً واسعاً للبحث والدراسة نظراً لتقاطع الأفكار والأهداف والمنطلقات بين شعر المجون في القرن الثاني والاتّجاه الوجدانيّ، وتسعى الدراسة إلى الغوص في أشعار المجّان واكتشاف نقاط التلاقي بينهما عبر دراسة مُذكيات الوجدانيّة واتجاهاتها ومقوّماتها في أشعارهم.

أهميّة البحث وأهدافه :

لقد سعى البحث إلى استقراء النصوص الشعريّة للشعراء المُجّان في العصر العبّاسيّ الأوّل ، ودراستها، وتحليلها محاولاً الكشف عن الملامح الوجدانيّة في أشعارهم. وتنبع أهميّة البحث من كونه يدرس ظاهرةً إشكاليّة في الأدب العربي هي ظاهرة المُجون، ثمّ يبحث في تلاقيها مع ظاهرة أدبيّة حديثة هي الاتجاه الوجداني في الشعر ، و تكاد تغيب الدراسات عن البحث في موضوع النزعة الوجدانيّة في شعر المجون في القرن الثاني الهجري، ما عدا بعض الدراسات التي أصّلت مصطلح الوجدانيّة، و تناولته في نماذج شعريّة متنوّعة كطرفة بن العبد و أبي نواس على سبيل المثال لا الحصر، كالدكتور عبد القادر القط الذي يعدّ من أوائل من أرسى دعائم الاتجاه الوجداني في الشعر العربي في كتابه الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر . ومن هنا تبرز أهميّة البحث في الاتجاه الوجداني في شعر المجون في

القرن الثاني الهجري كظاهرة فنيّة (فكريّة اجتماعيّة) حديثة برزت في الشعر العربي القديم، وأمّا هدف البحث فهو تسليط الضوء على أشعار المجّان في القرن الثّاني الهجريّ؛ بغية الكشف عن ملامح الوجدانيّة و في أشعارهم ، وإبراز قيمتها الفنيّة والفكريّة .

منهجيّة البحث :

ستقوم دراسة النزعة الوجدانيّة في أشعار المجّان على استقراء النصوص الشعريّة وتحليلها ، و إبراز قيمتها الفنيّة ، وقد وجدتْ في المنهج الوصفي خير معينٍ ، لأنّه سيفيدها في التفسير والتحليل والتقييم، وفي قراءة النصوص وتحليلها بقدر استجابتها له ، إضافةً إلى المنهج النفسي الذي يساعد في الكشف عن جماليات النصوص الشعريّة ، واستكشاف بواطنها ، و فهم ما تحويه من أبعادٍ ودلالاتٍ ، وفي تفسير الظواهر الأدبية، والكشف عن عللها وأسبابها ومنابعها ، والبحث لن يغفل الإفادة من المناهج النقديّة الأخرى التي تُعنى بالمكوّن الفكريّ للشعر ، إذ إنّ من المتّفق عليه أنّ النصّ الشعريّ لا يسير في نظامه اللغويّ أو الجماليّ في اتجاه واحد ، وإنّما تتداخل فيه عناصر شتّى، ممّا يفرض على الباحث الإفادة من تلك المناهج في الدراسة التطبيقيّة ، ومنها المنهج الاجتماعيّ؛ لأثره البالغ في تشكيل الوعي والإحساس .

تأصيل مصطلح الوجدانيّة:

الوجدان لغةً: يُذكر لما ضاع أو لِما يجري مجرى الضائع في ألّا يعرف موضعه[1]، و يقال وجَدْتُ في المالِ وُجْداً ووَجْداً ووِجْداً ووِجْداناً وجِدَة أَي صِرْتُ ذا مال؛ ووَجَدْت الضَّالَّة وِجْداناً، والوُجْدُ والوَجْدُ والوِجْدُ :اليسار والسَّعةُ، ووجَد الرجلُ وَجْداً، بالفتح، ووَجِد؛ كلاهما: حَزِنَ. وقد وَجَدْتُ فلانا فأَنا أَجِدُ وَجْداً، وذلك في الحزن و تَوَجَّدْتُ لفلان أَي حَزِنْتُ له، وتَوَجَّد فلان أَمر كذا إذا شكاه، وهم لا يَتَوَجَّدُون سهر ليلهم ولا يَشْكون ما مسّهم من مشقته[2].

الوجدان في الفلسفة : يُطلق على معنيين، الأول: كلّ إحساس أوّلي باللذة أو الألم، والثاني: ضربٌ من الحلات النفسيّة من حيث تأثرها باللذّة أو الألم في مقابل حالات أخرى تمتاز بالإدراك والمعرفة[3].

الوجدان اصطلاحاً : هو التعبير عن حالةٍ نفسيّة، وانفعالٍ عاطفيّ مُفرح أو مُؤلم ، وفي الأدب هو الإحساس الداخلي لإدراك قيمة العمل الأدبي[4].

ومن هذا المنطلق تعدّ الوجدانيّة قيمةً فنيّةً للعمل الأدبيّ وسمةً خاصّة تميّزه ؛ تتمثّل في ترجمة ذات الشاعر إزاء الوجود والكون والعالم، واستجابةً للجمال في الطبيعة والكون كلّه.

---

[1] **العسكري، أبو هلال، كتاب الفروق في اللغة، طرابلس ، لبنان، جروس برس، الطبعة الأولى، تعليق وضبط: أحمد سليم الحمصي، 1994 .**

Al askary.A.H,the book of odds at language, Tarablos,Lebanon,Gros press, accuracy by :Al homsy.A.S,1994. (in Arabic)

[2] **ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، دون تاريخ ، مادة وجد .**

Ibn Manzour, Lissan Alarab, Dar sader, Bairout, wajad subustance. (in Arabic)

[3] **المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربيّة، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، 2004 .**

Almegam Alwaseet(mediator dictionary) ,academy Arabic language, alshorouk international library, 2004 . (in (Arabic)

[4] **ألتونجي، محمد ، المعجم المفصّل في الأدب، الجزء الثاني، بيروت، لبنان، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى، 1993م -1413هـ .**

Altongy.M, elaborate dictionary at literature,part2, Birut, Lebanon, home of science books, 1993. (in Arabic)

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ مصطلح الوجدانيّة في الشعر العربي لم يبصر النور إلا على يد الدكتور عبد القادر القط الذي يعدّ من أوائل الكتّاب الذين أرسوا دعائمه في منهجٍ متكامل لدراسة النزعة الوجدانيّة في الشعر العربي الحديث ، وذلك في كتابه(الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر).

وإذا ما كانت الوجدانيّة تيّاراً من تيّارات الشعر العربي ، فإنّها تمثّل أيضاً منهجاً في قراءة الشعر ونقده (وإنّ الحركة الوجدانيّة تمثّل مرحلة انتقالٍ حضاريّ، وهي ليست جديدةً على الشعر العربي، بل جذورها ممتدّة في أعماقه، والحركة العذريّة في الشعر الأمويّ هي أقرب ألوان الشعر العربيّ إلى الشعر الوجدانيّ الحديث، وإن اختلفت عنه باختلاف العصر والقيم الاجتماعيّة والتقاليد وغير ذلك ممّا يطبع الأدب بطابعه الخاصّ)[5].

وإنّ من أبرز مميّزاته: الهروب إلى الطبيعة نتيجة الشعور باليأس والإحباط والغربة من المجتمع، فيظهر حزن الشاعر وتأمّلاته في الحياة والكون والوجود، وقد يصل إلى نتائجَ مثيرةٍ وغريبةٍ في آنٍ معاً.

ولعلّ من الجدير ذكره أنّ الاتّجاه الوجداني في الشعر يميل إلى الصور الخياليّة والتجسيم والألفاظ الشعريّة المحمّلة بدلالاتٍ شعوريّة غير مقيّدة بمعانٍ ماديّة محدودة[6] ، وإنّ شعر المُجون في القرن الثاني الهجريّ مليءٌ بالصور الخياليّة التي استخدمها الشعراء المجّان لخدمة أفكارهم، وتصوّراتهم، و رؤاهم الحياتيّة، ومواقفهم الوجوديّة من الحياة والكون والإنسان .

والنزعة الوجدانيّة في الشعر انعكاسٌ لذات الشاعر وترجمة لما حوله، و شعر المجون في القرن الثاني الهجريّ موقفٌ من الحياة والمجتمع والكون، ولكن بأسلوب التظرّف والمجون والخلاعة، فترى الشعراء المجّان يسعون إلى تحويل بؤس الحياة إلى فرح، ومصائبها إلى بهجة، ويأسها إلى فرح في الوجود وأملٍ في الحياة، فتأتي صورهم مليئة بالحبّ والفرح، ولعلّه هروبٌ من الحياة وبؤسها، ومواجهةٌ لها في آنٍ معاً، وهذا ما يُلمح عند أبي نواس الذي يتغنّى بالفروسيّة والحرب، ولكن وفق أسلوبه الخاصّ، وعلى طريقة اللهو والحبّ والصداقة، ورفض الموت والصراع و العدوان، إذ يقول[7]:

إذا هيّـــا أبو الهيجـا ء للهيجـاء فرســـانا
وســـارت راية الموتِ أمام الشيخ إعلانـــا
جعلنـــا القوس أيدينـا وقبل القوس سوسانا
وقدّمنـــا مكـان النبْـ ـلِ والمطرد ريحانـــا
فعادت حربنـا أنســـاً وعُدنـــا نحن خِلّانا
بفتيـــانٍ يرون القتْـ ـلَ في اللذّات قربانـــا
وأحجـار المجـــانيقِ لنـا تفّـــاح لبنـانـا
ترى هذاكَ مصروعـــاً وذا ينجرُّ سكرانـــا
فهذي الحربُ لا حـربٌ تعمُّ الناسَ عدوانـــا

[5] ينظر: القط ، عبد القادر، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب ، القاهرة، 1988 . ص6 -7 .
Alkott.A, Sentimental direction at contemporary Arabic poetry, al shabab library, Cairo, 1988, 6-7

[6] المصدر السابق ، ص12 .

[7] أبو نواس، ديوان أبي نواس ، تحقيق: أحمد عبد المجيد الغزالي، بيروت دار الكاتب العربي، 1984 ،ص198 .
Abo Nowas,Dewan, inquiry: Algazaly,Birute, dar alkateb alaraby, 1984. (in Arabic)

و يستوقف البحث قوله الآخر عن موقفه من ميادين الحروب وأدواتها وقيمها، وانشغال السلطة والناس فيها، وكيف عالجها بأسلوبه الطريف الماجن[8]:

بزّاتنـــا الأقـــداحُ دُرّاجهـــنّ الـــرّاحُ
قســـيّنا عيـــدانٌ أوتارهـــا فِصـــاحُ
وصيدنـــا ظبـــاءٌ كأنّهـــا الصبـــاحُ
وخيلنـــا عذارى عذارهـــا الوشـــاحُ
ميدانهـا الحشايـا وركضُهـا النكـــاحُ
وعيشـنا موصولٌ بغـــــدوةٍ رَواحُ
قد هزّنـــا قتـــالٌ مـــا إن بـهِ جُنـــاحُ

وهنا يكمن التساؤل عن غاية أبي نواس من تبديل المفهومات والقيم، فهل كان حبّه الحياةَ والفرح وراء موقفه الرافض للحروب والفتوحات والصراعات الدمويّة المميتة التي كانت الدولة حينئذٍ منغمسةً فيها؟

أو كان يسعى لفضح نظام القمع وكمّ الأفواه الذي فرضه البيت العباسي على الشعب، فقام بفضح سلوك أولئك الذين يدفعون أبناء الشعب إلى الموت في ساحات الحرب، بينما هم يحاربون بين الجواري والغلمان والكؤوس والعيدان[9] ؟

وإذا ما كانت الحضارة العبّاسيّة في القرن الثاني الهجريّ في أوج ازدهارها الفكريّ والاقتصاديّ ، فإنّ الشعراء سيتأثّرون حتماً بهذا التطوّر، وسينعكس ذلك في نتاجهم الشعريّ، ولمّا كانت الدراسة معنيّةً بالشعراء المجّان في القرن الثاني الذين تميّزوا باتّساع ثقافتهم، فقد استندت على ذلك لتبيّن أنّ التجربة الشعريّة لديهم تحمل دلالاتٍ أرحبَ من الدلالات التقليديّة المألوفة، وبناءً عليه يصبح لديهم للشعر مستويان، الأوّل: مرتبط بحدود التجربة وارتباطها بالواقع، والثاني: يعبّر عن إحساس الشاعر بالحياة والكون والمجتمع ، وموقفه منها، وسيسعى البحث إلى دراسة الاتجاهات الوجدانيّة في أشعار المجّان في القرن الثاني الهجريّ كالحبّ، والطبيعة، و الأنا والكون، والصراع مع الحياة والموقف منها، والتمرّد .

الشعراء المجّان والحبّ :

لعلّ الحبّ من أعمق العواطف في النفس الإنسانيّة، وأكثرها تجذّراً فيها، وأقربها إلى التعبير عنه، وهو رابطة مقدّسة بين الناس، ويجب ألّا يغفل البحثُ ذكرَ التنوّع الذي شهده شعر الغزل في الشعر العربيّ القديم، فمن غزلٍ تقليديّ إلى غزلٍ صريح، إلى الغزل العفيف... ولا بدّ من الإشارة إلى ظهور ضروبٍ جديدةٍ من الغزل، هي الغزل بالغلمان، إضافةً إلى الغزل الصّوفيّ، والتغزّل بالمعشوقة الأزليّة الخمرة وساقيها والنديم...

كقول أبي نواس في الخمر صديقة روحه وفاتنته، التي يراها ملهمةً له ومصدراً للنقاء والصفاء والطمأنينة والراحة، والخلاص من عالم القبح[10] :

---

[8] **المصدر السابق ، ص720 .**

البزاة: جمع بازي وهو طيرٌ من الجوارح ، الدرّاج: طيرٌ شبيه بالحجل ، القسيّ: جمع قوس ، العذار: ما سال على اللجام من خدّ الفرس ، الجناح: الإثم.

[9] **ينظر:حريتاني، سليمان، المتهتك الفاضل أبو نواس شاعر الحداثة والخمرة والتمرّد والاغتراب، حمص، تنوير للطباعة والنشر، 1996 ،ص244.**

Hretany.S, The honest corinthian Abo nowas, poet of juvenility, wine, contumacy and exile, Homs, tanweer for character, 1996, 244.(in arabic)

[10] **ديوان أبي نواس ، ص24 .**

عـاذلي في المُدامِ غيرُ نصيحِ لا تلمني على شقيقةِ روحي
لا تلمني علـى التـــي فتنتنـي وأرتني القبيـــحَ غيـرَ قبيـــحِ
قهـوةً تتركُ الصحيحَ سـقيمـــاً وتعيرُ السقيمَ ثوبَ الصحيحِ

وهي المحبوبة المثالية مُزيلة الهموم والأحزان، المحبوبة النقيّة العطرة، إذ يقول[11] :

إذا خطرتْ فيكَ الهمـــومُ فداوهـــا بكأســكَ حتى لا تكون همومُ
أدرهـــا وخُذهـــا قهوةً بـابليّـــــةً لها بين بصرى والعراق كـرومُ
لهـا من زكيّ المسك ريحٌ زكيّـــةٌ ومن طيب ريحِ الزعفرانِ نسيمُ
فشـمّرتُ أثوابي وهرولتُ مسرعـاً وقلبي من شـــوقٍ يكـــادُ يهيـمُ

ولكن التساؤل الذي يطرح نفسه: هل كان الشعراء المجّان صادقين في عواطفهم في أثناء تعبيرهم عن مشاعر الحبّ؟ أم أنّها تجربةٌ شعريّة تنبع من صميم قلوبهم، وتنزع إلى التعلّق بكلّ ما من شأنه أن يخلّصهم من واقعهم وممّا هم فيه، ويخلّصهم من واقعٍ يحطّم أحلامهم ورغباتهم وأمانيهم ؟

بيدَ أنّ الشعراء المجّان لم يكن لهم النظرة نفسها والأسلوب نفسه في الحبّ والغزل، بل كانت مذاهبهم متشعّبة ومتنوّعة، فترى نماذج من الغزل الحسّي، و الغزل العفيف، والغزل التقليدي، و الغزل بالغلمان عند شاعرٍ واحد كأبي نواس الذي يذكر ذلك في أشعاره التي انتشرت في العصر العبّاسي آنذاك، ومن ذلك قوله[12]:

أفديكَ خذها من يدي وهاتِ عذّبني حبّ غلاميّـــاتِ
ذوات أصداغٍ معقربـــــاتٍ مقوّمات القدّ مهضومات

وتجدر الإشارة إلى ظهور الغزل بالغلمان في العصر العبّاسيّ الأوّل، ولعلّه كان محاكاةً للتطوّر الحضاريّ، والترف الذي عاشه أبناء ذلك العصر وملأ قصور الخلفاء الذين حرّموا على الناس ما حلّلوه لأنفسهم، و قد صار هذا الغزل تيّاراً عامّاً لا يقتصر على الشعراء المجّان وحدهم، وإنّما خاض فيه كثيرٌ من الأدباء الذين لم يُعرفوا بالمجون، ومنهم إبراهيم النظّام[13] المشتغل بالعلم والفلسفة على سبيل المثال لا الحصر، ولعلّه صورةٌ أمينةٌ ودقيقة لواقع المجتمع العبّاسيّ، وخاصةً مجتمع الخاصّة والموسرين وعليّة القوم*. وإذا ما كان الغزل بالمذكّر –في معظمه– لا يعبّر عن

---

[11] المصدر السابق، ص104 .

[12] ديوان أبي نواس ، ص166 .

[13] ابن المعتز، طبقات الشعراء ، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف ، مصر، دون تاريخ، ص271.

Ibn Almotaz,Poets category, inquiry:Farraj A, dar almaaref,Eygept.271. (in Arabic)

*لقد أشار الدكتور محمد النويهي إلى أنّ تفشّي الفساد والتحلّل في العصر العبّاسي لم يكن مرتبطاً بأبي نواس، وأنّه لم يُدخل على عصره فساداً لم يكن بهذا العصر. ينظر: النويهي، محمد، نفسيّة أبي نواس، مكتبة النهضة المصريّة، 1953، ص162-163.

Alnowaehy.M, Abo nowas supersensible,Eygeptian alnahda library,1953, 162-163. (in arabic)

ويمكن أن يدخل هذا النوع من الغزل من باب المنحول لأبي نواس، إذ لا يمكن الاعتقاد بصحّة كلّ ما نُسب إليه.

ينظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مطبعة الإتقان، دمشق، الطبعة الأولى، ج24، ص141.

Alameen.M ,ayan alsheaa, aletkan press, Damascuse, 24:141. (in arabic)

ونظر: شلق، علي، غزل أبي نواس، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1954 ، ص10

SHalak.A, Abo nowas gallant, Birute, Birute house for press, 1954.10. (in arabic)

Shalak.A, Abo nowas gallant,

عاطفةٍ صادقة، فإنّه لا يدخل ضمن إطار الاتّجاه الوجداني؛ لأنّه كان مفتعلاً متشابهاً وخالياً من الحرارة والصدق؛ لذلك سيُعرض البحث عن دراسته.

وعلى الرغم من ذلك كلّه فإنّ غزل الشعراء المجّان بمن أحبّوا كان يفيض بأصدق العواطف والمشاعر، ومليئاً بمشاعر الحبّ الحقيقيّة، وبالصور المبتكرة المشحونة بالعواطف، ويظهر فيها أثر الفلسفة والثقافة الواسعة للشاعر، كقول أبي نواس[14] :

يـا عـــاقد القلب عنّـي هـــلّا تذكّـــرتَ هـــلّا
تـركـتَ منّـــي قليـــــلاً مـن القليـــل أقـــــلّا

و أبو نواس قد خصّ محبوبته جنان بحبّه الصّادق، ومشاعره الحميمة، إذ يقول فيها[15]:

جنـــــانُ إن جدتِ يا منـاي بمـا آملُ لم تقطر السـمـاءُ دمـا
علقت من لو أتـى على أنفـــس الـ ماضين والغـــابرين ما ندمـا
لـو نظرت عينـــــهُ إلـــى حجـرٍ ولّـدَ فيهِ فُتورهـــا سـقمـــا

ويذكر ابن منظور أنّ أبا نواس لم يصدق بحبّ امرأةٍ غيرها[16]، أمّا طه حسين فرأى أنّه قد كَلِف بها حقّاً، وهام بها بعض الهيام، ورأى فيها نوعاً من الأمل يتحرّق الرجل لتحقيقه[17]، وكثيرةٌ هي القصائد التي عبّر فيها عن حبّه الصادق وعاطفته الجيّاشة بصورةٍ تسعى دائماً إلى الراحة والطمأنينة المفقودة، وإلى بلوغ الحلم الغائب البعيد فيلجأ إليه في أحلام النوم وخيالاته، وإلى اللذّة الدائمة–ولو في الحلم والخيال–و إلى الشكوى من قسوة الزمان وغدر الدنيا ، كقوله[18]:

إذا التقـــى فـــي النومِ طيفانـــــــا عـــاد لنـا الوصلُ كمـا كانـا
يـــا قرّة العينيـــن مـــا بـالنـــا نشـــقى ويلتذّ خيـــالانـــا
لو شئتِ إذ أحسـنتِ لي في الكرى أتممتُ إحســـانكِ يقظـانـــا
وعـاشـقين اصطلحـــا فـي الكـرى وأصبحـا غضبى وغضبانـــا
وكذلك الأحـــــلام غـــــدّارةٌ وربّمـــا تصدق أحيانـــا

ولعلّ حبّه لجنان أكبر من حبّ رجلٍ لامرأة؛ لأنّها تمثّل له الفرح والخلاص والنشوة، وهي أقصى درجات الحلم، ووصالها ورضاها عنه هو الفرح الأزليّ لديه، وبعدها استمرار للمأساة والمعاناة والألم، لذلك كان يحاول كثيراً التضرّع إليها من أجل تليين قلبها والوصول إليها، كقوله[19]:

أيـــــا مليّـنَ الحديـدِ لعبـــــــدهِ داوودِ
ألـنْ فـــؤاد جنـــــانٍ لعـاشـــقٍ معمودِ
قد صـــارتْ النفسُ منـــهُ بين الحشـا والوريـــدِ

[14] أبو نواس، ديوان أبي نواس، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1998، ص514 .
Abo Nowas,Dewan, birute, Sader house for press,1998, 514. (in arabic)

[15] المصدر السابق، ص233 .

[16] ينظر: الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ ، ج20، ص60 .
Al Asfahany,Abo alfarag,Al agany, inquiry: Jaber S, dar alfekr, Birut.20:60 . (in Arabic)

[17] حسين، طه، حديث الأربعاء، دار المعارف بمصر، الطبعة التاسعة، 1968، ج2، ص 107 .
Hussain.T, Wednesday conversation, almaaref house at eygept, 1968, 2:107. (in Arabic)

[18] ديوان أبي نواس ، ص244 .

[19] المصدر السابق، ص273.

أمـــــا رحمْتِ اشـــتياقـي أمـا رحمْتِ سـهودي
فأنجـــزي لـــي وعـــدي وأقصـري من وعيدي

وكذلك أيضاً والبة بن الحباب يصوّر وجده وهيامه و تعلّقه بمن يحبّ، فيفيض شعره بالعواطف والمشاعر الصادقة، والتي تتميّز بالصّور الموحية والمعبّرة، إذ يقول[20]:

فيهـــا اِفتَضَحتُ وَحُبُّهـــا في الناسِ يَسعى بِافتِضاحي
ولهـــا ولا ذنب لهـــا حبّ كـأطراف الرّمـــاحِ
جرحـتْ فـــؤادك بالهوى فالقلبُ مجـروحُ النواحـــي

ولا بدّ من التنبيه إلى أنّه لم يصلنا من أشعار المجّان في الغزل إلا القليل، باستثناء أبي نواس، وإنّ أشعارهم الغزليّة على ندرتها كانت تتميّز بعاطفتها الجيّاشة ومشاعرها الصادقة–ما عدا غزلهم بالمذكّر– كقول أبان اللّاحقي الذي كان يعشق جاريةً للهذيل الأشجعي، وكان الهذيل يغار عليها[21]:

إنّـي أرانـي ســوف أصبح ميتـاً أو لا ســأصبحُ ثمّ لا أمسـي
من حـبّ جـارية الهذيل وبغضـهِ وكلاهمـا قـاضٍ على نفسـي
فكلاهمـا أشـفي بـهِ سـقمي وإذا تكلّم عـاد لي نكسـي

و أمّا مطيع بن إياس فقد كان ممّن تأثّر شعره بالحضارة العبّاسيّة والمجون والخلاعة، وغزله كان صريحاً ماجناً في كثيرٍ من المواضع، وكان ساعياً لإرضاء غرائزه وميوله الجسديّة، ولعلّها صادقة مع غريزته وحسّه الماجن الظّريف، إلّا أنّها تبدو بعيدةً عن الحبّ الصّادق ذي العواطف الجيّاشة والإحساس المرهف والمشاعر الصّادقة التي برزت عند غيره من شعراء المجون في ذلك العصر، كقوله[22]:

قبّلينـي سـعادُ بالله قبلـهْ واسـألِيني لهـا فديتك نحلـهْ
فَوَ ربِّ السّـماء لو قلتِ لي صـلِّ لوجهـي جعلتـه الدهرَ قبلـهْ

وكان مطيع من الشعراء الذين قلّما يعبّرون عن معاناتهم وآلامهم في الحبّ، أو شغفه بمن يهوى، وكأنّه يكتم مشاعره ويخبّؤها، وكان المجون سبيله إلى نسيان همومه وآلامه وكلّ ما يشغل باله، كقوله[23]:

أيّهـا المبتغي بلومي رشـادي ألـهُ عنّي فمـا عليك فسـادي
أنتَ خِلـوٌ من الذي بـي ومـا يعْـ ـلمُ مـا بـي إلّا القريحُ الفـؤادِ

ولعلّه يشترك مع أبي نواس في رمزيّة الغزل/المعشوقة في كونها الخلاص والفرح، وفراقها والبعد عنها يمثّل ذروة الألم والمعاناة ، وهو ما ينغّص حياتهم ويزيد معاناتهم .

الطبيعة في شعر المُجون :

---

[20] يارد، نازك سابا، في فلك أبي نواس، نوفل للطباعة والنشر، بيروت، 1992 ، ص23 .
Yard.N.S,In Abo nowas orb,Nofa forl press,Birute,1992, 23. (in Arabic)
وينظر الأغاني، ج16، ص148 .

[21] المصدر السابق، ص133.

[22] غرونباوم، غوستاف فون، شعراء عباسيون، ترجمة: محمد يوسف نجم، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1959، ص 66. Gronbawm,G.F, Abbassy poets, translation:Nagem.M.Y,Birute,dar al-Hayat library, 1959. (in Arabic)

[23] المصدر السابق ، ص45 .

لعلّ الإنسان خُلق ليتآلف مع عناصر الطبيعة، فتؤثّر في مشاعره وتكوين عواطفه عامّةً، والطبيعة من أكثر الأشياء تأثيراً بالشعراء؛ لأنّها تترك فيهم آثاراً عميقة، وإنّ من أظهر الدلائل على ذلك الكمّ الهائل في وصفها شعراً ونثراً حتّى وصلوا إلى قمّة السموّ في الخيال حيث السماء والطارق والنجم الثاقب[24].

وقد تطوّر وصف الطبيعة في شعر المجون في العصر العبّاسي الأوّل، إذ يلمح فيها معاني الفلسفة وعلم الكلام (فقد أخذوا بحظ معاني الاندماج فيها والفلسفة لها، واتّخاذ العبرة والموعظة منها، وربطوا بين الطبيعة والخمر والطرب، كما تغنّوا بالحبّ في ظلالها)[25].

والشّعر ابن البيئة، ومرآة صادقة لها، ولمّا كان الشّعر في العصر العبّاسيّ الأوّل قد عاش مرحلة الازدهار الحضاريّ والثقافيّ والفكريّ وتأثّر بها كثيراً، كان لا بدّ أن يقدّم ألواناً مختلفة من الأوصاف، فمنها القديمة التي امتدّت إليها يد الحضارة في التهذيب والتطوير، ومنها المبتكرة التي أوجدتها المدنيّة الجديدة، وقد كان للاتّساع الحضاريّ أثرٌ في تنوّع الوصف لديهم بسبب القصور الباذخة والحدائق والبساتين... ، فأخذ الشاعر العبّاسيّ ينفخ الروح في مظاهر الطبيعة ويتعامل معها وكأنّها كائنات حيّة تشعر بما يشعر به كلّ ذي روح .

وللطّبيعة أثرها البالغ في الشّعر لأنّها ملهمة الشّعراء الذين يستوحون منها عناصر تجربتهم الإبداعيّة، وكثيراً ما يناجي الشّاعر عناصر الطّبيعة و يبثّها شكواه وأحزانه، فتجد في قصيدته تراسل الحواس والتشخيص والتجسيم والعواطف الصّادقة المعبرّة عن شجونهم وآلامهم، كقول مطيع بن إياس مخاطباً نخلتَيْ حلوان[26]:

أســـــعداني يا نخلتَيْ حلـــوانِ وابكيـا من ريب هذا الزمانِ
واعلمـــا أنّ ريبـــه لم يزل يفرق بين الألّاف والجيـــــــرانِ
ولعمري لو ذقتمـــــا ألـــم الفر قـةِ أبكاكمـــا الذي أبكـــاني
أســـــــعداني وأيقنـــا أنّ نحساً ســـــوف يلقاكما فتفترقـــانِ
كم رمتني صروف هذي الليالي بفـــراقِ الأحبـــاب والخلّانِ
فعليك السّـــــــلامُ منّي ما صا غ سـلاماً عقلي وفاض لساني

وكان الشعراء المجّان يصفون الطبيعة وبساتينها ورياحينها ويمزجون إعجابهم ونشوتهم بها بنشوة الخمر ومجالس اللهو وسماع القيان، كقول أبي نواس الذي يبيّن أنّ الطبيعة وموجوداتها تستخدم عندهم لما يخدم عالمهم الجديد عالم اللهو والمتعة والمجون[27]:

أربعـــــةٌ يحيـا بهـــا قلـــــبٌ وروحٌ وبَـــدَنْ
المـــاء والبستـان والـ خمـرةُ والوجـهُ الحَسَـنْ

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ أشعار المجّان في الطّرد، وما فيها من الغريب والقوافي العسيرة كقصائد أبي نواس لم يكن له فيها تلك الرغبة الشديدة، ولعلّها لإظهار مدى قدرته على الخوض في هذا المضمار أو أنّه مجبرٌ على قولها ؛

[24] ينظر: الألوسي، عادل عند كامل، الحبّ العرب، بيروت، لبنان، الدار العربيّة للموسوعات، الطبعة الأولى، 1999، ص 313- 314 .
Alalosy.A.K, Love at Arabs, Birute, Lebanon, Arabic house forencyclopedia, 1999, 313-314. (in arabic)

[25] نوفل، سيّد، شعر الطبيعة في الأدب العربي، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1978، ص310 .
Nofal.S, Nature poetry at Arabic literature, Cairo, almaaref house, 1978, 310. (in arabic)

[26] شعراء عبّاسيون ، ص69 .

[27] ديوان أبي نواس، ص51 .

لأنّها بعيدةٌ عن مذهبه التجديديّ ورؤيته الفنيّة السّاعية لمواكبة المدنيّة الحاضرة والبعد عن منهج القصيدة العربيّة و عن وصف الأطلال واستخدام الغريب .

وأبو نواس يمزج الطبيعة بالخمر؛ لأنّ له غايةً واحدة هي اللذّة، فيسعى إلى استثارة حواسّه من شمّ وذوق وبصر ولمس، وتأتي خمرته ضمن طقوسها لتمنحه النشوة والحبّ والإعجاب، إذ يقول[28]:

فالخمرُ يــاقوتـةٌ والكأس لؤلؤةٌ من كفّ جـاريـةٍ ممشـوقةِ القدِّ

وللخمر سمةٌ فريدةٌ في شعره، وهي إثارة الحواسّ، فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من إلحاحه على هذه الخاصيّة، إذ لا قيمة للخمر في مذهبه إلّا إذا أيقظت جميع حواسّه، لتبلغ اللذّة قمّتها، فتتفاعل النفس وتنتشي، لذلك كان لا يكتفي بوصف مذاقها ونشوته منها ، بل يصف جمالها، وجمال مجلسها؛ لأنّ الجمال في مذهبه قد يكون أكبر مثيرٍ للذّة والنشوة، وفي ذلك يقول[29] :

أمَـا رأيت وجوه الأرض قد نضـرتْ وألبستهـا الزّرابـي سـترةَ الأسـدِ

حـاك الربيع بهـا وشيـاً وجلّلهـا بيـانع الزّهر من مثنى ومن وحـدِ

ولا يخفى على الدارسين التنبّه إلى أنّ النزعة الوجدانيّة التي تجلّت في أشعار المجّان في العصر العبّاسي الأوّل كان لها بعدٌ نفسيّ بارز –وبشكلٍ خاصّ في أشعار التمرّد و الخمر– وبُعدٌ تاريخيّ حضاريّ، وكلّها تشترك لتشكيل البعد الجمالي في القصيدة، فعلى سبيل المثال لا الحصر ترى أبا نواس مثل رسّامٍ يمزج ألوانه لتشكيل لوحةٍ فنّيّةٍ فائقة الجمال، فيستخدم التشبيهات والصور الفنّيّة التي تعكس حالته النفسيّة، فيستحضر مجالس الاجتماع العلميّة وحلقات الذكر ليحوّلها إلى مجالس من نوعٍ آخر إلى مجالس لهوٍ ومتعة، ويذكر الجواري ويبدع في وصفهنّ مؤكداً صفات التظرّف وحُسن المنادمة في ذلك العصر، وكلّ ذلك في جوٍّ من الرّقيّ الحضاريّ، كقوله[30]:

ألا خُذها كمصبـاحِ الظلامِ سـليلـة أسـود جعد سـخامِ

أشـبّهها وقد صفّت صفوفـاً بأشـيـاخٍ معمّمـةٍ قيـامِ

فجاءت كالدّموع صفـاً وحسناً كقطر الطلّ في صافي الرّخـامِ

ترى فيهـا الحبـابَ وقد تدلّى كمثل الدرّ سُـلّ من النظـامِ

وخذ من كفّ جـاريةٍ وصيفٍ رخيـم الدلّ ملثـوغ الكـلامِ

فأحيـانـاً تقطّب حاجبيهـا وأحيانـاً تثنّى كالحسـامِ

الذاتيّة في شعر المجون:

الذاتيّة تجسيد للأنا في مواجهة الكون، وللصراع مع الحياة والموقف منها، و التمرّد عليها، ويعدّ الاتّجاه الوجداني في الشعر انعكاساً لذات الشاعر، وترجمةً لما حوله، فيستخدم الشاعر وسائل تعبيريّة متنوّعة ليعبّر عن صدق مشاعره وموقفه من الحياة والكون والمجتمع وصراعه معها بهدف تحقيق الذات وتأكيد الانتماء، فيأتي التمرّد في أشعارهم وجهاً من وجوه إثبات الذات وفي كثيرٍ من الأحيان هرباً من المواجهة، فترى يحيى بن زياد الحارثيّ يدعو للجوء إلى الخمر

[28] ديوان أبي نواس، ص27 .

[29] أبو نواس، ديوان أبي نواس، تحقيق: سليم خليل قهوجي، دار الجيل، بيروت، ص279 .

Abo Nowas,Dewan, inquiry: Kahwajy.S.KH, Birute, dar allele, 279 . (in Arabic)

[30] ديوان أبي نواس، ص577.

غير مكترثٍ بتحريمه أو بمواقف الدّين منه، ولعلّه هروبٌ من واقع الحياة المرير، واستهانة بالناس وموقفهم منه، إذ يقول[31]:

أعــاذلُ ليت البحر خمـرٌ وليتنــي مدى الدّهرِ حوتٌ ســاكنٌ لجّة البحرِ
فـأضحـي وأمســي لا أفــارق لجّه أروّي بها عظمي وأشفي بها صدري
طوال الليـالي ليس عنّي بنـاضبٍ ولا نــاقصٍ حتى أســاقَ إلى الحشرِ

وكثيراً ما يستهين الشعراء المجّان بآراء الناس ولومهم متجاهلين كلّ الأعراف والتقاليد ساعين إلى غايةٍ واحدة هي اللّذة وإثبات الذّات، كقول يحيى بن زياد[32]:

هلمّ اسقني كأساً ودع عنك من أبى و روِّ عظاماً قصرُهُنّ إلى بِلى

و أشعار الشعراء المجّان مليئة بالصور التي تعرض خيبتهم في الناس والمجتمع، فصُور خيانة الناس وحسدهم، وحسّ الاغتراب و خيبة الأمل، والروح القلقة الحائرة الشاكّة... تكاد تشكّل أساساً في كثيرٍ ممّا قالوه في أشعارهم؛ لذلك لجؤوا إلى ما يمنحهم الحريّة والطمأنينة والفرح والسعادة التي فُقِدت في مجتمعٍ مليءٍ بالنفاق والرياء والخروج خفيةً على كلّ القيم والتستّر عليها أمام العامّة، فلجؤوا إلى الخمر وإلى الخطيئة بشكلٍ عامّ، وإلى الصورة الماجنة المتمرّدة التي اشتهروا بها، كقول أبي نواس[33]:

اشــربْ فُديتَ علانيــهْ أمُّ التســتّر زانيَـــــهْ
لا تقنعــنّ بســـــكرةٍ حتّى تعـود بثـانيـــهْ
و دعِ التســتّر والرّيـــا ءَ فما هما من شانيَـهْ

إذن؛ الخمر والمجاهرة في شربها تمنح الشعراء المجّان الفرح والسعادة المفقودتين من حياتهم، وتعطيهم نشوة السموّ والرقيّ على الواقع، وذلك بعيشهم اللحظة الراهنة المليئة بالحريّة والتمرّد على كلّ ما هو واقعيّ معيش.

وقد تكون المجاهرة بالخطيئة والإصرار على المعصية، والتمرّد العلنيّ على العادات والتقاليد بهدف (الكشف عن مواطن الخلل المتغلغلة في مجتمعٍ يطحنه النفاق وتغلّفه المظاهر الخادعة)[34] ؛ أي هي محاولةٌ منهم لفضح المجتمع وتعريته بالجهر بما لا يقدر أن يجهر به الآخرون، وتأكيدهم رفضَ مجتمعهم وقيمه الزائفة، وتأكيدهم أيضاً ذواتهم وحريّتهم وفرديّتهم المتميّزة في هذا المجتمع، فيؤكّدون ذواتهم عبر رفض سياسة القمع والكبت، وعدم الانصياع لثقافة الأمر والنهي بل التمرّد عليها وتجاوزها، فيحمل هذا التمرّد بذوراً للتمرّد النفسيّ والاجتماعيّ والدينيّ والفنّيّ والوجوديّ؛ وبذلك

---

[31] **الرقيق النديم، أبو إسحق إبراهيم، قطب السرور في أوصاف الخمور ، تحقيق: أحمد الجندي، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة، 1969، ص111.**

Alrakik Alnadeem, Abo assac I, Kutb alsuroor in wine quality, inquiry: Aljindy.A, Damascuse, academy Arabic language, 1969, 111. (in Arabic)

[32] **المصدر السابق، ص120 .**

[33] **ديوان أبي نواس ، ص136 .**

[34] **الزعيم ، أحلام، أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرّد، بيروت، لبنان، دار الحقائق، الطبعة الثانية، 1986، ص94.**

Alzaeem.A, Abo noas between Absurdity, exile, contumacy, Birute, Lebanon, facts house, 1986, 94. (in arabic)

يصبح شعرُ المجون في العصر العبّاسيّ الأوّل شعرَ الخطيئة التي تعني الحريّة بأسمى صورها (وحيث تنغلق أبواب الحريّة تصبح الخطيئة مقدّسة، وتصبح رمزَ الحريّة رمزَ التمرّد والخلاص)[35].

و هنا يكمن القول: إنّ شعر المجون في العصر العبّاسي الأوّل–في معظمه– محاولة من روّاده من أجل العلوّ بالشّعر والارتقاء به، ومن أجل التجديد في الشّعر والحياة والمجتمع مواكبةً للتطوّر الحضاريّ والفكريّ في ذلك العصر، وأيضاً من أجل (فصل الشعر عن الأخلاق والدين، ورفض حلول العصر، وإعلان أخلاق جديدة هي أخلاق الفعل الحرّ والنظر الحرّ، وأخلاق الخطيئة)[36]. ومن أجل رفض كلّ ما يحدّ من حرّيتهم، أو يضيق عليهم حتى يصبح المجون (نفياً لكلّ ما ينفي حريّة الإنسان)[37]. وبهذا يأخذ معنىً تطهيريّاً، فهو(يطهّر ويحرّر)[38] ويحقّق وعداً بالحريّة، ونظاماً يتجاوز ثقافة الأمر والنهي، ويحطّم كلّ القيود والقوانين، ويعلن فكراً واحداً، وشريعةً واحدةً، هي الحريّة.

فالحريّة لأجل الحياة، ولأجل الإيمان والاعتقاد، ولأجل الفكر والسلوك، ولأجل العقل والقلب، ولأجل كلّ شيءٍ في هذه الحياة، و التمرّد البارز في أشعارهم وسلوكهم هو في جوهره تمجيدٌ للذات الفرديّة، وتقديس للحريّة التي هي جوهر الوجوديّة وأهمّ أركانها، ومن أبرز خصائص الوجدانيّة في أشعرهم.

ولعلّ الحريّة في أشعارهم دينٌ ومذهبٌ واعتقاد يمثّل موقفهم من الكون والعالم، وصراعهم الوجوديّ مع الحياة وموقفهم من مقدّسات المجتمع الدينيّة والاجتماعيّة والفنيّة، ومن هذا المنطلق يسعون لإثبات ذواتهم الفرديّة ، فتطالعنا قصائدهم التي تنادي بالتحرّر الفكريّ والتحلّل الدينيّ؛ إمّا بالتشكيك ببعض الأفكار أو بالثورة عليها مباشرةً؛ لأنّها تقيّدهم، وتقطع عليهم طريق الحريّة، وتمنعهم من اللهو والمجون، وتسهم في هدم مشروعهم الذي يقوم على الحريّة.

ولعلّ التطوّر الاقتصاديّ وما رافقه من تطوّرٍ فكريّ واجتماعيّ، وكثرة الفرق الدينيّة والدعاة والمنظّرين لها، والاطّلاع على الثقافات والفلسفات الوافدة، وغير ذلك من أسباب كان لها أثرٌ كبير في غلبة روح الشكّ في نفوس الناس، والشعراء بشكلٍ خاصّ، ويمكن أن يكون هذا الشكّ استجابةً للحياة نفسها وما رافقه من أحداثٍ وتطوّرات، ومن ذلك قول أبي نواس[39]:

يـــا نـاظراً في الدّين مـــا الأمرُ لا قـدرٌ صَـــحّ ولا جَبْـــرُ

ما صحّ عندي من جميع الذي يُذ كَرُ إلّا المـــوتُ والقبْـــرُ

وربّما تكون غلبة روح الشكّ على نسبةٍ كبيرةٍ من العلماء والشعراء والمتكلّمين هي ما جعلها تظهر في كتاباتهم وتؤثّر في أقوالهم وأفعالهم، ويتجلّى ذلك في التمرّد والخروج عن المتعارف عليه وعمّا اعتاده الناس، وهذا الخروج إثباتٌ لذواتهم من جهة، وسعيٌ من جهةٍ ثانية إلى خلخلة المجتمع، فهو يُحدث هزّةً قويّةً في النفوس لدى المجتمع المحافظ والسلطة، مع الإشارة إلى أنّ الخروج عن التقليد المعهود كان مسموحاً به ما لم يكن له ترجمة عمليّة على الأرض ضدّ

---

[35] أدونيس، علي أحمد سعيد، مقدمة للشعر العربي، بيروت ، دار العودة ،1983 ، ص52 .

Adonis,Saeed.A.A, introductionfor Arabic poetry,Birute, dar alawda. (in Arabic)

[36]المصدر السابق، ص53.

[37] أدونيس، علي أحمد سعيد، الثابت والمتحوّل، بحث في الإبداع والاتباع عند العرب، بيروت ، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثامنة، 2002، الجزء الثاني، ص120 .

Adonis,Saeed.A.A, Abiding and Mutable, monograph in authorship and convention at Arabs, Alssaky house, Birute, 2002, 120 . (in Arabic)

[38] الثابت والمتحوّل ، الجزء الثاني، ص120 .

[39] ديوان أبي نواس ، هامش الصفحة 218.

السلطة، فقد (تسامح الخلفاء العباسيّون في أمور الدّين، وأطلقوا الفكر من قيود التقليد إلا ما يمسّ الدولة أو الخلافة)[40].

وإذا ما كان الشكّ من جهة، والإحساس بوطأة الزمن وقسوة الحياة ، والإحساس بأنّ الموت والفناء قادمان لا محالة من جهة ثانية، فهل من سبيلٍ لديهم لمواجهة مجمل هذه الأمور إلا بالإقبال على الحياة وملذّاتها، أو باتخاذ موقفٍ سلبيّ منها تمثّلَ بالزّهد والتنسّك بوصفه ردّ فعلٍ على هذا الواقع؟ وهذا ما يتجلّى في قول أبي نواس الذي لا يُخفي قلقه من المصير المحتوم، ويشعر بوطأة الزمن وثقله عليه، فيواجهه بالمبادرة إلى اللّذّة والإقبال عليها، إذ يقول[41]:

رأيتُ الليـــالي مرصـــداتٍ لمدّتي فبـــادرتُ لـذّاتي مبـــادرة الدهرِ

وإنّ مواجهة المجتمع المغلق المقيّد بالقوانين، والمكبّل بالعادات والتقاليد البالية–من وجهة نظر الشعراء المجّان– هو ما دفعهم إلى اختراع عالمٍ جديد، و أهمّ ما يميّزه هو التناقض مع مجتمعهم السابق، فالانغلاق والتقييد والتزمّت في المجتمع ، يقابَل في مذهبهم الجديد بالانفتاح والتحرّر والتمدّن والتمرّد على كل العادات والقوانين، فكانت ثورتهم شاملة على المستوى الفنّيّ والدينيّ والاجتماعيّ.

فعلى الصعيد الفنّي تمرّدوا على منهج القصيدة العربيّة والوقفة الطلليّة، وعلى أسلوب العيش الفظّ والخشن، كأبي نواس الذي حمّل ثورته على الأطلال دعوةً إلى المذهب الجديد في الشعر والحياة ،وذلك بقوله[42]:

دعِ الأطـــلال تســـفيها الجنوبُ وتبلي عهـد جدّتهـــا الخطوبُ

دعِ الألبـــــان يشـــربها أنـــاسٌ رقيـــق العيـــش بينهـمُ غريـــبُ

أمّا تمرّدهم الدينيّ فكان واضحاً وجليّاً برفض الانصياع لأوامر الدين ونواهيه من جهة، واستخدام مصطلحاته بألفاظٍ ودلالاتٍ جديدة وغير معهودة أو متعارف عليها، وكلّ ذلك بأسلوبٍ جديد يضفي القداسة على اللهو والمجون؛ لأنّ (المقدّس الجديد هو، في آن، ما يناقض المقدّس الموروث، وما يلبّي حاجة الروح في اللحظة الحاضرة). ومن ذلك قول بشّار بن برد[43]:

تبدّلَ من حبّ الصّـــلاةِ حديثنـــا وكنتُ أراه غايـــــة المتعبّـــدِ

لعمرك مـــا ترك الصّـــــلاةِ بمنكرٍ ولا الصومُ إن زارتك أمّ محمدِ

وأبو نواس يشبّه الخمر بالله عزّ وجلّ، طالباً التعظيم والتقديس والثناء لها، وذلك بقوله[44]:

أثـــنِ على الخمر بـآلائهـــــا و ســـمّها أحسن أسمـــائها

وإنّ تعرّضهم للمقدّس الدينيّ دفعهم إلى كثيرٍ من الإلحاد المشوب بشتّى أنواع التعابث و التماجن، كقول أبي نواس[45]:

فدعي الملامَـةَ قد أطعتُ غوايتي وصرفتُ معرفتي إلى الإنكارِ

ورأيتُ إتيـــــاني اللذاذة والهوى وتعجّلا من طيب هذي الـدّارِ

---

[40] بابتي، عزيزة فوّال، الإطار الأدبي في مطلع العصر العباسي، بيروت، دار الشمال للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1986، ص18.
Babetty.A.F, literature frame at beginning of Abbassy age, Birute, alshamal house for pree, 1986, 18. (in arabic)

[41] ديوان أبي نواس ، ص139 .

[42] المصدر السابق ، ص11 .

[43] ديوان بشار بن برد، ص295.

[44] ديوان أبي نواس ، ص13 .

[45] المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، القاهرة، المطبعة السلفيّة، 1343هـ ، ص278.
Almarzabany.M.B. O, Almowshah in scientist debit at poets, Cairo, alsalafieh press, 1343H. (in arabic)

أحـرى وأحـــزم مـن تنظّر آجـلٍ علمي بــه رجمٌ من الأخبـــارِ
مـــا جـاء من أحدٍ يخبّر أنّـــهُ في جنّـةٍ من مات أو في النّارِ

وبالانتقال إلى التمرّد على المقدّس الاجتماعيّ، فقد أكثر الشعراء المجّان في العصر العبّاسي الأوّل من التعرّض له، وكان ذلك عبر الثورة على التقاليد والقيم، والتمرّد عليها والدعوة لانتهاكها، ومن ذلك إصرارهم على المضيّ في دروب اللذة والعبث متحدّين نظرة المجتمع، ومتجاوزين قيمَه، داعين إلى الجهر بالمعصية والخطيئة، كقول أبي نواس[46]:

لســتُ بالتّـــــارك لذّا ت النّدامـــى للصّـلاحِ
قلْ لمن يبغي صلاحي بعثُ رشـدي بطَـلاحي
أطيب اللّـذّاتِ ما كـــا ن جهـاراً بافتضـــاحِ

وكثيراً ما أعلنوا عن استهانتهم بأعراف الناس، وعدم اكتراثهم بهم وبآرائهم، وجهرهم بما لا يجرؤ الناس على البوح أو التصريح به وقد يمارسونه بالسرّ، فلا يعيرون اهتماماً لأيّة قواعد دينيّة أو أخلاقيّة أو اجتماعيّة، ويتخذون الإباحة والصراحة مذهباً لهم، ومن ذلك قول أبي نواس[47]:

غدوتُ على اللذّات منهتك السّـترِ وأفضتْ بنات السرّ منّي إلى الجهرِ
وهـانَ عليَّ النّـاس فيمـــا أريدهُ بما جئتُ فاستغنيتُ عن طلب العذرِ

ولا بدّ من الإشارة إلى كثرة دعواتهم إلى العالم الجديد عالم اللذّة والمتعة والتمرّد، فيدعون إلى مباشرة اللذّة منطلقين من نظرةٍ وجوديّة قلقة من حتميّة الموت والفناء، ومؤكدين أنّ اللذّة هي الشيء الوحيد التي يجدر بالمرء التعلّق والانشغال بها، فانقضاء الحياة بسرعة، وفناء العمر يجب ألّا يواجه إلّا بالتمتّع بالملذّات إلى أقصى درجاتها مستهيناً بأعراف الناس وآرائهم، كقول مطيع بن إياس[48]:

اخلع عِذارك فـــي الهـــوى واشـــــرب معتّقةَ الدّنـــانِ
و صِـلِ القِيـــانَ مجـــاهراً فالعيشُ فـــي وصلِ القيـــانِ
لا يلهيـنّـكَ غيـــر مـــــا تهـوى فـإنّ العمـرَ فـــــانِ

الاستنتاجات والتوصيات :

وهكذا يمكن القول: إنّ الاتجاه الوجداني الذي تناوله البحث بالدراسة هو عينه ما يسمّى بالحركة الرومانسيّة في الشعر الحديث، فالرومانسيّة شانها شأن كلّ حركة أو ظاهرة أدبيّة جديدة لا بدّ وأن تمثّل مرحلة انتقالٍ حضاريّ، وأن تمرّ بعدّة مراحل، ولكن لم تتبلور صورتها عند العرب حتى العصر الحديث.

وهذه الظاهرة وإن دُرست عند الشعراء العذريين، فملامحها جليّة في أشعار طرفة بن العبد في عصر ما قبل الإسلام، والشعراء المجّان وغيرهم على سبيل المثال لا الحصر ؛ لأنّها تمثّل فرحة الفرد باكتشاف ذاته، تلك الذات التي ظلّت ضائعةً ومقهورةً لعقودٍ طويلةٍ من الزمن، كما تمثّل اعتزازه بهذا الاكتشاف، واعتزازه بطريقته الجديدة، وبأسلوبه وثقافته ووعيه الاجتماعي والفنّي، وبحسّه المرهف، وبتطلّعاته إلى الجمال المطلق، والنفور من القبح في الفنّ والحياة،

[46] ديوان أبي نواس ، ص685 .
[47] المصدر السابق، ص139.
[48] شعراء عباسيون، ص76 .

وإلى القيم الإنسانيّة قيم الحريّة والعدالة ، فكانت الذاتيّة في أشعار المجّان في العصر العبّاسي الأوّل تأكيداً لحريّتهم، وتحقيقاً لوجودهم وتثبتاً لها في مجتمعٍ لا يعترف بأيّ خارجٍ عن عقده، وجاء تمرّدهم تعبيراً عن الرّوح الإنسانيّة الحضاريّة الحالمة بالحريّة والتغيير، والراغبة بعالمٍ حضاريّ متمدّن يسوده العدل والحريّة ، وكانت عناصر الطبيعة في أشعارهم وثيقة الصلة بأحاسيسهم ورغباتهم وتوجهاتهم الفكريّة والفنيّة، فغدتْ حقائقَ روحيّةً، وشخوصاً حيّةً نابضةً بالحياة في سياقاتٍ تعبيريّةٍ متعدّدة تحمل طاقاتٍ إيحائيّةً كبيرة تجسّد حبّهم للطبيعة وتقديسهم لها وللعيش الحضاريّ المتمدّن وعلاقاته، ورفضهم للعيش الفظّ الخشن الذي كان يمجّده شعراء وأدباء ذلك العصر ويجعلونه شرطاً للتميّز والإبداع .

وإذا كانت التجربة الشعريّة لدى الشعراء المُجّان في العصر العبّاسي الأوّل تحمل دلالاتٍ أرحب من الدلالات التقليديّة المألوفة، و كان المجون لديهم يمثّل موقفاً من الحياة والفنّ والكون والعالم، فإنّ الشعر لديهم يكون له مستويان، أحدهما مرتبط بالواقع المعيش، والثاني يعبّر عن إحساساتهم بالحياة والكون ومواقفهم منها ، وهذا ما يربط التجربة الشعرية لديهم بالنّزعة الوجدانيّة في الشّعر.

المراجع :

1- ابن المعتز، طبقات الشعراء ، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف ، مصر، دون تاريخ، ص271.
Ibn Almotaz,Poets category, inquiry:Farraj A, dar almaaref,Eygept.271. (in Arabic)

2- ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، دون تاريخ ، مادة وجد .
Ibn Manzour, Lissan Alarab, Dar sader, Bairout, wajad subustance. (in Arabic)

3- أبو نواس، ديوان ، تحقيق: أحمد عبد المجيد الغزالي، بيروت دار الكاتب العربي، 1984 .
Abo Nowas,Dewan, inquiry: Algazaly,Birute, dar alkateb alaraby. (in Arabic)

4- أبو نواس، ديوان أبي نواس، تحقيق: سليم خليل قهوجي، دار الجيل، بيروت .
Abo Nowas,Dewan, inquiry: Kahwajy.S.KH, Birute, dar allele. (in Arabic)

5- أبو نواس، ديوان أبي نواس، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1998 .
Abo Nowas,Dewan, birute, Sader house for press,1998. (in arabic)

6- أدونيس، علي أحمد سعيد، الثابت والمتحوّل، بحث في الإبداع والاتباع عند العرب، بيروت ، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثامنة، 2002.
Adonis,Saeed.A.A, Abiding and Mutable, monograph in authorship and convention at Arabs, Alssaky house, Birute, 2002. (in Arabic)

7- أدونيس، علي أحمد سعيد، مقدمة للشعر العربي، بيروت ، دار العودة ،1983 .
Adonis,Saeed.A.A, introductionfor Arabic poetry,Birute, dar alawda,47. (in Arabic)

8- الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ .
Al Asfahany,Abo alfarag,Al agany, inquiry: Jaber S, dar alfekr, Birut. (in Arabic)

9- بابتي، عزيزة فوّال، الإطار الأدبي في مطلع العصر العباسي، بيروت، دار الشمال للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1986 .
Babetty.A.F, literature frame at beginning of Abbassy age, Birute, alshamal house for pree, 1986. (in arabic)

10- ألتونجي، محمد ، المعجم المفصّل في الأدب، الجزء الثاني، بيروت، لبنان، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى، 1993م -1413هـ .

Altongy.M, elaborate dictionary at literature,part2, Birut, Lebanon, home of science books, 1993. (in Arabic)

11- الألوسي، عادل عند كامل، الحبّ العرب، بيروت، لبنان، الدار العربيّة للموسوعات، الطبعة الأولى، 1999.

Alalosy.A.K, Love at Arabs, Birute, Lebanon, Arabic house forencyclopedia, 1999. (in Arabic)

12- حسين، طه، حديث الأربعاء، دار المعارف بمصر، الطبعة التاسعة، 1968.

Hussain.T, Wednesday conversation, almaaref house at eygept, 1968. (in Arabic)

13- حريتاني، سليمان، المتهتك الفاضل أبو نواس شاعر الحداثة والخمرة والتمرّد والاغتراب، حمص، تنوير للطباعة والنشر، 1996 .

Hretany.S, The honest corinthian Abo nowas, poet of juvenility, wine, contumacy and exile, Homs, tanweer for character, 1996. (in Arabic)

14- الرقيق النديم، أبو إسحق إبراهيم، قطب السرور في أوصاف الخمور ، تحقيق: أحمد الجندي، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة، 1969.

Alrakik Alnadeem, Abo assac I, Kutb alsuroor in wine quality, inquiry: Aljindy.A, Damascuse, academy Arabic language, 1969 . (in Arabic)

15- الزعيم ، أحلام، أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرّد، بيروت، لبنان، دار الحقائق، الطبعة الثانية، 1986.

Alzaeem.A, Abo noas between Absurdity, exile, contumacy, Birute, Lebanon, facts house, 1986. (in arabic)

16- شلق، علي، غزل أبي نواس، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1954 .

SHalak.A, Abo nowas gallant, Birute, Birute house for press, 1954. (in arabic)

17- العسكري، أبو هلال، كتاب الفروق في اللغة، طرابلس ، لبنان، جروس برس، الطبعة الأولى، تعليق وضبط: أحمد سليم الحمصي، 1994 .

Al askary.A.H,the book of odds at language, Tarablos,Lebanon,Gros press, accuracy by :Al homsy.A.S,1994. (in Arabic)

18- غرونباوم، غوستاف فون، شعراء عباسيون، ترجمة: محمد يوسف نجم، بيروت، دار مكتبة الحياة،.1959

Gronbawm.G.F, Abbassy poets, translation:Nagem.M.Y,Birute,
dar alhayat library, 1959. (in Arabic)

19- القط ، عبد القادر، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب ، القاهرة، 1988.

Alkott.A, Sentimental direction at contemporary Arabic poetry, al shabab library, Cairo, 1988. (in Arabic)

20- المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، القاهرة، المطبعة السلفيّة، 1343هـ.

Almarzabany.M.B. O, Almowshah in scientist debit at poets, Cairo, alsalafieh press, 1343H. (in Arabic)

21- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربيّة، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، 2004 .
Almegam Alwaseet(mediator dictionary) ,academy Arabic language, alshorouk international library, 2004 . (in Arabic)

22- نوفل، سيّد، شعر الطبيعة في الأدب العربي، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1978.
Nofal.S, Nature poetry at Arabic literature, Cairo,almaaref house, 1978. (in Arabic)

23- النويهي، محمد، نفسيّة أبي نواس، مكتبة النهضة المصريّة، 1953.
Alnowaehy.M, Abo nowas supersensible,Eygeptian alnahda library,1953. (in arabic)

24- يارد، نازك سابا، في فلك أبي نواس، نوفل للطباعة والنشر، بيروت، 1992 .
Yard.N.S,In Abo nowas orb,Nofa forl press,Birute,1992 . (in Arabic)